الهواجس

يوم ميلاد «آدم»، في الحضَّانة، رأيته صغيرًا جميلًا رغم الألم والصراخ. بعد أن ضممته إلى صدري وأرضعته وتأملته نائمًا في حضني، بدأت الهواجس! هواجس مرعبة الشكل والمضمون! فجأة استرجعت كل مشاعري كطفلة، كفتاة، وكامرأة تعرضت للتحرش. فجأة استرجعت قصص أصدقائي ودموعهم وهم يحكون لي عن قصص التحرش، والاغتصاب، التي تعرضوا لها! فجأة استرجعت كل مشاكل القراء والقارئات التي كنت أجيب عنها بكل حب ودأب في الحياة ما قبل «آدم».

بدأ خوفي على «آدم» من الناس والمجتمع والمرضى النفسيين والمتحرشين واللا أخلاقيين وولاد «التيت» الذين يعيشون بيننا! كلما كبر «آدم»، كبرت معه مخاوفي وهواجسي!

كيف أحمي طفلي من التحرش؟

أولًا: هل يستطيع أن يقول «لا»؟

إجابة هذا السؤال قد تبدو بسيطة ولكن الموضوع معقد وصعب. الكثير من الناس مؤمنون بنظرية «الطفل المؤدب»، الذي يقول نعم وحاضر. نظريًّا هذا الطفل جميل ومثالي

وحلم الكثير من العائلات، ولكن هل تعلمون كيف يتم تفعيل هذه النظرية؟ الطفل الطبيعي يجب أن يستخدم «لا» ويجب الاعتراض وتحدي القواعد و«المقاوحة»، ولكي تحصلوا على طفلكم «المؤدب»، حسب النظرية السابقة، عليكم بكسر روح الاعتراض والمقاومة داخله. الطفل أقل من 6 سنوات لا يستطيع التمييز بين الشخص البالغ الصديق والشخص البالغ العدو، ونتيجة توجيهاتكم المستمرة بالطاعة وتكرار العقاب اللفظي والجسدي، يفقد الطفل القدرة على الرفض. يفقد الطفل القدرة على التلفظ بـ«لا» حاسمة قوية ترد عنه الكثير من الأذى، ولأن شخصية الطفل تتكون في أول 6 سنوات، يكبر هذا الطفل ويعاني من نفس المشكلة، كيف يقول «لا»!

ثانيًا: هل يعرف الطفل حرمة جسده؟

هذا السؤال أيضًا قد تبدو إجابته سهلة ولكن حرمة الجسد إحساس وليست معلومات يقرؤها في كتاب أو يتعلمها في درس! حرمة الجسد إحساس ينمو مع الطفل أو يقتله الأهل بأفعال غير مقصودة. من أمثلة التصرفات التي تقتل الشعور بحرمة الجسد، أمر الطفل بتقبيل شخص ما! قد يكون الشخص قريبًا أو غريبًا لم يشاهده الطفل سابقًا! يشعر الطفل أنه مستباح لأي شخص بالغ وأن من حق أي شخص حضنه أو تقبيله وأن عليه الطاعة!

دوركم كحماة لهذا الطفل لا ينتهي عند عدم غصبه أو ابتزازه ليقبل أو يحضن شخصًا ما، دوركم هو منع لمس طفلكم بدون استئذان! لا يجب أن يضع شخص ما يده عليه لأي سبب من الأسباب! لا يلمس أحد شعره أو وجهه أو خدوده أو يده أو أي جزء آخر. مداعبة الطفل لها طرق عديدة لا يجب أن يكون ضمنها التعدي على جسده بدون إذنه.

ثالثًا: هل يعرف الطفل الفرق بين اللعب الجسدي واللعب الجنسي؟

يحب الأطفال اللعب الجسدي مع المقربين منهم مثل المصارعة أو الاستغماية أو أي لعبة أخرى تستدعي التلامس الجسدي. هذه الألعاب لا ضرر منها مادام الطفل هو الذي يسمح ويمنع ويضع شروط التلامس. قد تتحول هذه الألعاب إلى ألعاب جنسية بقصد أو بدون قصد! قد تتطور محاكاة التصارع إلى خلع بنطلون الطفل أو إلى تعرية مؤخرته أو إلى العض أو إلى عض رقبته. قد يتطور اللعب مع البنات إلى لمس الصدر أو أي جزء آخر من جسدها. هنا يمتزج اللعب بالجنس وهذا مضر جدًّا للطفل وخاصة إذا كان أصغر من أن يعترض بالقول أو الفعل!

قد تلعبون أنتم معه هذه اللعبة اليوم بحسن نية، ولكن ماذا يحدث إذا حاول شخص غريب أو شخص مريض تكرار هذه اللعبة؟ للأسف لن يرفض الطفل وسوف يظن أن هذه الأفعال جزء من اللعبة!

رابعًا: هل هو مستقل؟

عند الحديث عن الاستقلال يفكر أغلب الناس في الاستقلال العاطفي لكن سؤالي الحقيقي هو عن قدرة الطفل على العناية بنفسه. هل يستطيع الطفل أن يدخل الحمام وحده وقضاء حاجته والعناية بنظافته وارتداء ملابسه؟ إذا كانت الإجابة «لا»، فالحقيقة هي أن ترك الطفل مع غرباء يعتنون به يجعله عرضة للتحرش والنسبة هي 50%!

خامسًا: هل يحب الطفل اللعب مع من هم أكبر منه سنًّا؟

قد تشعرون بسعادة لأن طفلكم يندمج مع جميع الأطفال حتى من هم أكبر منه سنًّا، لكن هل فكرتم في خطر التحرش؟ قد لا يعني الطفل الأكبر التحرش بطفلكم، لكن قد يحدث التحرش من قبيل الاستكشاف أو التجربة أو لعبة من ألعاب فرض النفوذ والقوى. اسمحوا لطفلكم باللعب والاحتكاك، لكن لا تتركوه في حجرة مغلقة مع أطفال آخرين أو في منزل لا تعرفونه أو في مكان لا تعرفون القائمين عليه ومدى قدرتهم على مراقبة الأطفال والسيطرة عليهم.

عزيزتي الأم، عزيزي الأب، دوركم الأساسي في حياة الطفل هو حمايته من القريب قبل الغريب، ولا تتعجلوا انفصاله عنكم قبل أن يكتسب المهارات اللازمة للدفاع عن نفسه. لا تقتلوا قدرته على الرفض أو الصراخ تحت مسمى التربية، ولا تثقوا في أشخاص تتوسموا فيهم العلم أو التدين أو السلامة النفسية!

الأطفال والأسئلة الجنسية

يسأل الطفل ابتداء من عمر ثلاث سنوات أسئلة يجدها الأهل محرجة، ويكون التسويف، أو التضليل عن غير عمد، أو التبسيط الشديد، هم المخارج التي يلجأ لها ولي الأمر المحرج من أسئلة طفله المخجلة. «لما تكبر»، «عيب الكلام ده»، «بس أسكت»، «إيه قلة الأدب دي» هي بعض العبارات التي يواجه بها الأهل سؤال الأطفال من البنين أو البنات عن

أسماء أعضائهم التناسلية أو عن الفرق بين الذكر والأنثى. يبدع العديد من الأهل في تأليف قصص تبرر كيف يأتي الطفل إلى العالم!

لم أجد في نهج المونتيسوري كلامًا واضحًا ومحددًا يجيب عن أسئلة الأطفال، لكن في دراسة علم الحيوان _التي تبدأ من سن ثلاث سنوات_ يتم شرح كل شيء بوضوح مما يؤكد أن د.«ماريا مونتيسوري» تريد الحفاظ على براءة الطفل وفي الوقت نفسه تريد أن تحفظه من الجهل! بالنسبة للطفل هذه أسئلة مثل كل الأسئلة، وكل ما يطلبه هو إجابة منطقية لأسئلته! بالنسبة للطفل، عضوه التناسلي لا يفرق عن يده أو فمه أو عينه، كلها أعضاء تساعد الطفل على إدراك العالم من حوله.

أفضل فترة لتقديم الطفل لفكرة التزاوج بين الثدييات _ومنها البشر_ والطيور والأسماك والحشرات، هي ما بين ثلاث وست سنوات وفقًا لأسئلة الطفل وقدرته على الاستيعاب. لا أتخيل نفسي أشرح لطفل على أعتاب المراهقة هذا الكلام، ولا أريد أن يكبر ابني ويكبر معه تابو الجنس والجسد!

أول سؤال فاجأني به «آدم» كان عن سبب اختلاف الفرق في الشكل بين عضوه وعضوي! أصعب ما واجهني في إجابته كان التغلب على الموروث الثقافي الثقيل! نظرت له مثلما أنظر له وأنا أجيب أي سؤال، وقلت له «كل عضو له وظيفة ولهذا كل عضو له شكل مختلف. لا يمكن لعضو الأنثى أن يكون بارزًا لأن هذا هو مكان خروج الطفل عند ولادته».

في يوم آخر أراد «آدم» أن يحمل وأن يلد! يومها قلت له «إن الأنثى تحمل وتلد».

ثم جاء اليوم الذي سأل فيه عن كيفية مجيئه إلى العالم، وحكيت له القصة كالتالي «بابا وماما حبوا بعض وحضنوا بعض وبعدين، زي المفتاح ما بيدخل في الكالون، عضو بابا دخل جوا عضو ماما وخرج منه حاجات زي السمك الكتير. سمكة واحدة بس وصلت لبيضة جميلة جوا ماما والبيضة والسمكة عملوا نقطة والنقطة لزقت جوا بطن ماما وفضلت إنت تكبر لحد لما بقيت ببيبي جميل وبعد يوم ويوم ويوم قررت إنك عايز تشوف ماما وخرجت من بين رجليا وشيلتك في حضني ورضعتك».

خلال هذه الفترة شاهد «آدم» صور وفيديوهات السونار أثناء فترة حملي فيه، ورأى

النقطة ملتصقة برحمي وسأل إذا كانت هذه حجرة في بطني مخصصه للبيبي، وأجبته أن هذه الحجرة اسمها رحم وأنها تكبر كلما كبرت النقطة. كم كنا محظوظين إذ حضرنا ولادة كاملة لمعزة، وسأل «آدم» إذا كان ولد هكذا، وأجبته بالإيجاب. رأى «آدم» التزاوج بين القطط، وبين الحمام، وبين فراشات دود القز، وبين الهامسترز، وأدرك أن الطيور تبيض، والبيضة إما نأكلها أو تفقس كتكوت، وأن النساء تبيض، والبيضة إما تصير دمًا شهريًّا أو تصبح جنينًا.

سأل «آدم» أين كان قبل أن يصبح نقطة في رحمي وقلت له الحقيقة، إنه كان يعيش في قلبي!

بالنسبة لطفل في الرابعة أو السادسة، لا يوجد شيء اسمه جنس ولا يوجد شيء اسمه «سؤال عيب»! هذه هي الفرصة لشرح الأمور بمنتهى العقل والمنطق دون الخوف من إثارة الغرائز، فكما يعرف الطفل أننا نتبول ونتبرز يعرف أن الجنس البشري يتزاوج!

ماذا تفعل عندما يداعب طفلك أعضاءه الجنسية؟

بين عامه الثاني والسادس سوف يبدأ طفلك أو طفلتك في لمس الأعضاء التناسلية. قد يكون الموضوع مجرد لمس أو مداعبة أو استمناء كامل! لا تفزع ولا تنفعل!

أولًا: تأكد أن طفلك أو طفلتك في طفولته المبكرة غير مستثار جنسيًّا ولا يفكر بالجنس كما تعرفه أنت. دافع طفلك هو الفضول! طفلك يتعامل مع القضيب، أو الفرج في حالة الأنثى، مثلما يتعامل مع أذنه أو أنفه. يصر طفلك على لمس نفسه عندما يدرك أن هذا الفعل يثير حفيظتك! يرى الطفل حرجك وانتفاضك وغضبك ويسمع نبرة صوتك الناهية الفزعة ويقرأ ملامحك المشمئزة فيقرر استفزازك وابتزازك!

ثانيًا: عندما يلمس الطفل أعضاءه، عرفه باسم ما يمسك: قضيب/ خصية أو فرج/ مهبل. لماذا؟ لأنك عودته على تسمية أجزاء جسده عندما يشير إليها، وهذه أعضاء مثلها مثل باقي الأعضاء لها اسم أيضًا. لا تقدم الاسم الدارج ولكن قدم الاسم العلمي الصحيح بكل هدوء وكل ثقة وبدون شرح.

ثالثًا: إذا وجدت طفلك يداعب أعضاءه، اسأل بكل هدوء: «هل تريد الذهاب إلى الحمام؟».

رابعًا: يمكنك دائمًا تشتيت الطفل بشيء آخر. طفلك يداعب نفسه بينما هو سرحان تمامًا، اعرض عليه نشاطًا: «هيا بنا نرسم لوحة فنية.» أو «هل تريد أن تصنع معي كعكة؟» أو « هل تريد أن تبني عمارة طويلة بالمكعبات؟»

خامسًا: إذا وجدت طفلك يداعب نفسه قبل أن ينام، لا تعلق! اعرض عليه أن تحكي له حدوتة. إذا وجدت طفلك يحك أعضاءه التناسلية بوسادة أو مرتبة أثناء النوم، لا تفعل شيئًا! طفلك نائم ولا يعي ما يحدث.

سادسًا: إذا وجدت طفلك يلمس نفسه في وجود ضيوف، أشركه في الحديث واجعله محور الحدث.

سابعًا: إذا لاحظت أن طفلك يداعب نفسه طوال الوقت، ويفضل العزلة للاستمناء عن اللعب مع أقرانه، أو المشاركة في الأنشطة الأسرية، فاعلم أن هناك مشكلة! قد تكون المشكلة الملل والزهق بسبب ترك الطفل وحده لفترات طويلة والانشغال عنه، أو عدم توفر الأنشطة المناسبة لسنه ومهاراته.

الألم النفسي والتوتر دوافع أخرى لاستمناء الطفل، قد يكون كلامًا سمعه الطفل خلسة أو شيئًا عنيفًا رآه أو خوفًا من شخص ما. قد تكون ضغوطًا نفسية أخرى مثل المقارنة المستمرة بينه وبين أقرانه أو النقد الدائم، كل هذه الآلام النفسية والضغوط ينفس الطفل عنها بالاستمناء! الحل في هذه الحالة معرفة سبب التوتر وعلاجه وتوجيه الطفل لطرق أخرى للتخلص من المشاعر السلبية مثل الرياضة أو الموسيقا أو الفن أو الحوار.

أخطاء الأهل:

الزعيق والضرب والإهانة والفضيحة والتهديد والعقاب والإيذاء البدني لن يمنعوا طفلكم من استكشاف جسده، ولكنهم سيؤثرون سلبًا على صورة الجسد لديه. ستغرسون بتصرفكم هذا بذرة «وساخة» الجسد والجنس وسوف يجني طفلكم مشاعر الذنب والرهبة كلما مارس الجنس، حتى بعد الزواج!

إذا أسأتم التصرف في هذه المرحلة، فسوف تقدمون طفلكم على طبق من ذهب للمتحرش! طفلكم لا يعرف الأسماء الحقيقية لأعضائه والمتحرش يستخدم كلمات تدليل للقضيب والفرج. طفلكم لا يثق بكم ولن يخبركم لأن جسده تابو ولا يمكنه السؤال عنه أو الحديث بشأنه. طفلكم يعلم أنكم ستعاقبونه ولهذا سيبتزه المتحرش مرات عديدة قبل أن تعرفوا أنتم أي شيء عما يحدث.

هل من الطبيعي أن يستكشف الأطفال بعضهم أجساد البعض؟

سأتحدث الآن عن سيناريو آخر مرعب لكل أم وأب؛ طفلين أو أكثر يتعرون بعضهم أمام البعض ويستكشفون أعضاءهم التناسلية.

أولًا، يحدث هذا الموقف في الأطفال ما بين الثالثة والسابعة ودافعه الفضول وليس الرغبة الجنسية.

ثانيًا يكون الاستكشاف في نطاق اللعب، وأشهر لعبة هي لعبة الطبيب والمريض.

ثالثًا رد فعلكم سيتوقف عليه الكثير!

ما هو السيناريو الطبيعي؟

عندما تدخل الحجرة، وتجد الأطفال «يستكشفون»، من الطبيعي أن يكونوا في نفس العمر ومن الطبيعي أن تكون بينهم معرفة مسبقة من الحضانة أو الزيارات العائلية أو التدريب أو النادي. هم في نفس العمر ويعرفون بعضهم معرفة وطيدة. إذا راقبتهم، فسوف تكتشف أنهم يلعبون بدون قهر أو غصب وبكامل رضاهم. من الطبيعي أن تجدهم يضحكون ويتبادلون الأدوار.

ما هو السيناريو غير الطبيعي؟

ليس من الطبيعي أن يوجد طفل أو طفلة أكبر من طفلك أو من باقي الأطفال بثلاثة أعوام أو أكثر، وليس من الطبيعي أن يكون طفل واحد هو محل الفحص والاستكشاف لجميع الأطفال. ليس من الطبيعي أن يكون هناك «غاصب» و«مغصوب»، وليس من الطبيعي أن يلعب طفل دون إرادته أو بضغط من طفل آخر. ليس من الطبيعي أن تجد طفلًا يبكي أو طفلًا يشعر بالخزي أو طفلًا محل سخرية. ليس من الطبيعي أن تجد طفلًا متألمًا، وليس من الطبيعي

أن تسمع أصوات ضحك ساخر أو صمت! ليس من الطبيعي أن تجد تواصلًا جنسيًّا أو ما يشبهه مثل الجنس الفموي. ليس من الطبيعي أن يتم تهديد الطفل لإبقاء الأمر سريًّا!

كيف تعالج الموقف؟

- لا تنهار ولا تصرخ في طفلك ولا تضربه! لا تستخدم السباب ولا الإهانة! تمالك نفسك وسيطر على أعصابك!
- اسأل طفلك عن اسم اللعبة التي كان يلعبها! إذا قال إنه كان يلعب لعبة الطبيب فذكره أنه ليس بطبيب/ مريض وأن صديقه أو صديقته ليسوا كذلك. ذكره أن في زيارة الطبيب يجب أن يكون مع الطفل والدته أو والده.
- ذكر الطفل بالقاعدة الأساسية في التعامل مع جسده: «كل ما يغطيه المايوه غير مسموح لأحد أن يراه أو يلمسه».
- تحدث بجدية لكن بهدوء حتى لا يفقد الطفل ثقته بك.
- ضع قواعد للعب في المنزل وأولها أنه ممنوع غلق الباب.
- تأكد أن لعب الأطفال مراقب ولو من بعيد.
- تأكد أن أصدقاء طفلك من عمر مناسب.
- تحدث مع طفلك ومع الطفل الآخر وكأنه طفلك، وإذا تكرر الموقف تحدث مع أهل الطفل الآخر ويمكنك في بعض الأحيان إنهاء الصداقة.
- تأكد من وجود أنشطة ملائمة لطفلك وأصدقائه عند زيارتهم.
- إذا علمت/ شعرت أن طفلك تم استغلاله جنسيًّا من قبل طفل آخر، قم بإنهاء الصداقة.
- أكد لطفلك أنه لم يقترف خطأ. لا يوجد ما يعيب الجسد ولكن يوجد ما يعيب السلوك تجاه الجسد.
- تأكد أن طفلك قادر على الرفض!